بقية حيـــاة

للكاتب الروسي تورجنيف

كان تورجنيف خلال صيد يفتش عن ملجأ من المطر في مزرعة لأمه . فهبط كوخا مهجورا ووجد خصا في زاوية من زواياه سرير خشبي يرقد عليه شكل إنساني صغير » قال تورجنيف: دنوت ولكن الدهشة سمرتني في مكاني . إن إزائي كائنا حيا ، ولكن ما هو هذا الكائن ؟

وجه غاض منه ماء الحياة ، وغشيه لون برنزي كأنما يرى فيه الناظر صورة قديمة قديمة ، وأنف دق مارنه حتى أشبه حد المدية ، وشفتان دقيقتان نحيفتان لا تكادان تحسان ، وعينان لا معتان ، وأسنان بيضاء ، وبعض غدائر شقراء ناست تحت النقاب ، وفي أطواء الفضاء تتحرك ببطء أصابع يدين ووجه لا يسمه القبح ، وإنما هو جميل ، ولكنه غريب مؤثر ، وكان أشد ما أثر في نفسي ما لمحته على الخدين المتصلبين من صورة ابتسامة تجهد نفسها عبثا لتظاهر

— ألا تعرفني ياسيدي ؟

تردد ذلك الصوت الذي راح يردده هذا الكائن كنفخة ، تحركت به شفتان بمناء

— إنني (لوكريا) هل تذكرني ؟ أنا التي كنت أرسل الأغاني وأثير الضحك عند أمك !

— أأنت « لوكريا » أنت ؟ هذا مستحيل

— أنا هي بذاتها

وما كان لي إلا القول والنظر كالمجذوب في هذا الوجه الأربد ، وفي هاتين العينين اللامعتين الشاخصتين بدون حياة .

أهذه المومياء هي (لوكريا) أجل وأبيهي إماثنا ، من كانت بضة الأهاب وردية اللون ، ترقص وتضحك وتمرح وتغني ؟ لوكريا ... الرقيقة التي فتنت رفاقها ، ومن كنت أبسم لها خفية حينما كنت في السادسة عشرة ؟

آه يا لوكريا ماذا أصابك ؟

— حادثة مروعة ، ولكن لا تخش يا سيدي ، ولا تمرك السآمة من حالي . اجلس مني قريبا على هذه الخابية لأنك لا تستطيع الإصغاء إلي بعيدا . أي صوت لي الآن ؟ إنني جد مسرورة برؤيتك ...

(وهنا تقص عليه لوكريا قصتها ، وأنها في ساعة مرسها

وصحة البيت لولا التحريف في النسخ وتلا هالكيها الخ

وأني لأشد اغتباطا بتصحيحه الخطأ مني بالثناء على سائر القصيدة . وإني على مقصديه لشاكر

عبد اللطيف النشار

مهيب لا مهاب :

خطأ زميلنا الاستاذ محمد محمد الأبشيهي ، الأستاذ مطر في قوله من قصيدته (من الأعماق)

تحورنا من الأغـــلال فانهض
سليل المجـــد مرموقا مهـــابا

ذاهبا إلى أن الصواب (مهيب) لا (مهاب) لأن (مهاب) — كما نرعم — (من أهاب به يهيب به . إذا زجره عن الشيء فهو مهاب أي مزجور ... ... الخ

وأقول للزميل الأبشيهي إن (مهاب) بفتح الميم تؤدي المعنى الذي عناه الشاعر ، وما على الأستاذ الأبشيهي إلا أن يرجع لأي مرجع من مراجع اللغة ، وحسبه (مختار الصحاح) فإنه منه على طرف الثمام ...

وتحيتي للشاعر مطر ، وللأستاذ الأبشيهي ...

محمد الغزالي مرسي

سقطت عن السلم فأصابها هذا الشلل الذى عطل حركتها . وقد جربوا عبثا أن يجدوا لها الدواء . وأخيرا قادوها إلى هـــذه المزرعة عند بعض الأقارب)

— وهل تظلين مضطجعة هكذا دائما ؟

— نعم ! وقد مر على سبعة أعوام ، فى الصيف أمكث فى هذا الخص الصغير ، وفى الشتاء يحملوننى إلى مدخل هناك

— ومن يعنى بك ويقوم بحاجاتك ؟

— إن هنـــا رجالا كرماء لا يتركوننى ولـكن فى الغالب لا أحتاج إلى شئ . كدت أستغنى عن الطعام والشراب ، وتزانى أكثر الأوقات مطروحة جانب هـذا الينبوع البارد ، وأستطيع أن أبلغ مقرى وحدى ، إذ لا تزال إحدى يدى سليمة . وهناك فتاة صغيرة يتيمة ترافقنى كثيرا فليجزها الله منى ! كانت هنا قبل لحظة ، ألم تلاقها فى طريقك ؟ إنهـا عادة شقراء تحمل إلى أزهارا أحبها . كان عندنا من الروضة أزهار ولـكنها ذوت . أما أزهار الحقول فهى جميلة أيضا وشذاها أضوع ! ماذا تريد أحسن من ذلك ؟

— ولـكن الحياة ، ألا تجدينها كئيبة ثقيلة عليك يا لوكريا البائسة ؟

— ما العمل ؟ لا أقدر أن أكذب . كانت أيام مصابى الأولى أياما ثقيلة قاسية ، ثم ما لبثت أن تعودت ، وللانسان من دهره ما تعود ، وصبرت وذكرت أن آخرين — هنالك — قد يكونون أحق بالشكوى منى . .

— وكيف ذلك ؟

— من لا مأوى لهم مثلا ، والعميان والصم ! أما أنا — فشكرا لله — أبصر وأرى ، وأسمع ما خفت من الأصوات . اذا شق خالد منفذا فى الأرض فإنى أسمعه ، وأتروح كل العطور حتى الضئيل منها . لازهر شجرة فى الحقول أوزيزفونة فى البستان دون أن أخبر بذلك ، فإذا مرت عليها الريح أكون أول كائن يحس ما تنطوى عليه هذه الريح ! لا لا . . ولماذا أدعن حظى ؟ هنالك آخرون حظهم أقسى ، وكذلك الأشخاص المعافون تدفع بهم ميولهم كثيرا إلى عمل الشر . أما أنا فالخطيئة تركتنى

— وهل أنت وحيدة دائما يا لوكريا ؟ كيف تعملين لتطاردى الأفكار عن نفسك ؟ وعلى الأقل ألا تنامين كل الوقت ؟

— لا ياسيدى ! لا أستطيع أن أنام . حينما أريد وبدون أن أحس الآلام الكبيرة أجد فى أعماق نفسى آلاما صماء تتمشى فى عظامى ، وهذا ما يحرمنى النوم . لا أظل على حالة واحدة هادئة دون تفكير . أحس أننى أحيا . إننى أتنفس ، وهذه كل حياتى ، إننى أنظر وأسمع . تدوى أسراب النحل وتسقط حمامة على السقف وعشى ، ودجاجة تقاسم فراخها فتاتا أو عصفورة أو فراشة تحوم . هذا كله يدخل السرور فى نفسى ، ومن عامين طرق السنونو هـذا المكان ، وبنى — هنـــا — عشا ، ما أجمل هذا !

وفى بعض خطراتى أردد صلوات ، ولـكنى لا أعرف منها كثيرا ، ولمـــاذا أضجر الإله الصالح منى ؟ وماذا أطلب إليه ؟ إنه يعلم حاجتى أكثر منى . إنه أرسل إلى صليبه وهذه علامة محبته لى . أعرف صلاة (يا أبانا) وصلاة (السلام عليك يا مريم) ثم أرانى أحلم فى شئ . . . وهكذا الزمن يمضى

(وهنا يعرض عليها (تورجنيف) أن يقتادها إلى مستشفى فى المدينة ولـكنها ترجوه ألا يفعل)

— إننى أعرف يا سيدى أن فيما تعمله خيرا لى ، ولـكن هل فى الإمكان مساعدة الآخرين ؟ هل يمكن قراءة ما فى النفوس ؟ إنما يجب على الإنسان أن يجد مساعدة فى نفسه . إنك لا تؤمن به . فى بعض خطراتى وأنا مضطجعة وحدى أحس أن لا أحد على الأرض غيرى ، وأن لا أحد لى سواى ، وأشعر بأن بركة تتنزل على ... تساورنى أفكار تبعث على الدهشة

— وأية أفكار تساورك يا لوكريا ؟

— يستحيل الإفضاء بها يا سيدى ! لأنها مما لا يمكن التعبير عنه . ثم أنساها . ثم . يعرض لى ذلك كسحابة تمر فوق . وعندها أحس نداوة تغمرنى . ما هذا ! لا أعلم عنه شيئا . ولـكنى أقول : لو كان واحد معى لما وجد له مكانا . لا أحس شيئا إلا وزيتى

وهنا تهدت لوكريا تنهدا شديدا ولكن صدرها لم يسعفها على التنهد أكثر من بقية أعضائها

— سيدى ! إننى هجت فيك حس الشفقة كثيرا ، فلا تأسف . أصغ إلى ما سأقوله لك .. إنك تعلم ، أو تذكر أننى كنت طلابة المرح كثيرا فى عهدى الأول . وتعلم كم كنت أغنى !

وأنت تغنين أيضا !

— نعم : أردد أغانى القديمة ، أنواعا كثيرة من الأغانى ، أعرف منها كثيرا ولم أنسها . ولكن ألحان الرقص أصبحت لا أرددها لأن حالتى لا تساعدنى

— إنك تغنينها لنفسك بدون شك ؟

— لنفسى ... وأرددها عاليا ، قد لا أقدر أن أغنى عاليا جدا ، ولكن سامعها يفهمها . إننى حدثتك الآن عن قادة صغيرة تعودنى. لقد علمتها إياها وأصبحت تعرف منها أربعا ، وعما قليل ترى

تنفست (لوكريا) وهذه الفكرة التى بدأت ترددها هذه الغادة الفانية قد أيقظت فى نفسى هولا لا قبل لى به . ولكنى قبل أن أنبس بكلمة تصاعدت رنة تتعالى بصعوبة ولكنها صافية مستقيمة ملأت أذنى ، ثم رنة أخرى تلتها ثم أخرى ... ولوكريا لا تزال تردد :

« فى هذه الروح ، هذه الروح ، فى هذه الروح الجميلة الخضراء » كانت تشدو دون أن تتبدل ملامح وجهها وعيناها لا تتحولان . ولكنها كانت ترسل صوتها يرن مؤثرا ، هذا الصوت الضعيف الذى كان يجهد نفسه متصاعدا كأنه خيط دخان ، متدفقا من كل نفسها . أصبحت لا أحس ذلك الرعب بل حل محله شفقة عنيفة تضغط قلبى

أنّت فجأة وقالت :

— لا أقدر ... إن قوتى تخوننى . إن فرحى كثير برؤيتك. وهنا أغمضت عينيها ، ولمست بيدى أصابعها الباردة فنظرت إلى نظرة خفية ، ثم رأيت حاجبيها الكثيفين المذهبين بخطوط ذهبية كخطوط الهياكل القديمة قد أغلقا

كنت بالقرب من الباب عندما ذكرتنى ...

— هل تذكر ياسيدى (وقد بدت ملامح غريبة على عينيها وشفتيها) هل تذكر جديلتى الصغيرة ؟ كانت تسقط حتى ركبتى. مضى على ذلك عهد طويل وأصبحت لا أجزم . كانت غدائر جميلة وأنى لى أن أعمل المشط فيها على هذه الحالة ؟ فاضطررت إلى قصها ... عفوا ياسيدى ... لا أستطيع !

مرت أسابيع ممدودة علمت خلالها أن لوكريا غادرت هذا العالم . وهنالك يقصون — أنها فى يوم موتها — كانت تسمع بدون انقطاع نواقيس تقرع . وكانت لوكريا تزعم أن هذا اللحن الذى تسمعه لا يقبل من الكنيسة ولكنه يقبل من العالم الأعلى وكأنها لا تجرؤ أن تقول إنه من السماء

خ . ه

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد